لا تنقذوا سورية... إنقذوا انفسكم
الكاتب : عبد الله اسكندر
التاريخ : 26 ديسمبر 2012 م
المشاهدات : 8085

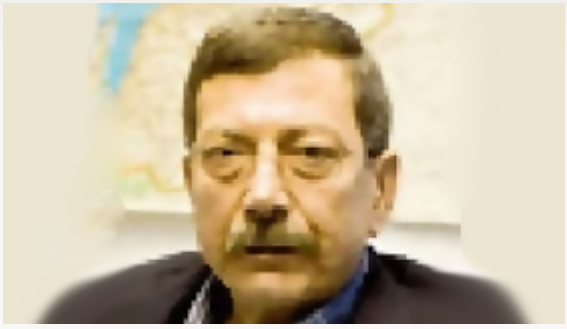

لا مؤشرات إلى أن الحرب السورية تتجه إلى أي تسوية من أي نوع كان.

رغم كل ما استخدمت فيها من أسلحة، وصولا إلى ما تردد عن قنابل غاز، ورغم كل الجهود السياسية التي ما تزال تتعثر على أعتاب مهمة الأخضر الإبراهيمي.

وغياب التسوية في ذاته يعني أن سورية مهددة بالدمار الشامل، حجرا وبشرا، بنى تحتية واقتصاد، مؤسسات إدارية وعسكرية.

ولا مبالغة أن مشاهد من حمص وحماة وإدلب ودير الزور ودرعا، وحتى في العاصمة، تناظر ما نراه من الصومال حيث تحول بلد بأكمله إلى ركام وشعبه إلى مشردين.

وهذا ما ينتظر سورية، مع مرور كل ساعة من الوقت. ففي كل ساعة يقتل تدمر عشرات الأبنية ويقتل عشرات الأشخاص ويهجر المئات من منازلهم. ومع مرور الأيام باتت الحصيلة مروعة على المستوى الإنساني والعمراني.

لكن سورية ليست الصومال. سورية كانت ولا تزال القلب النابض لحضارة المنطقة.

وعمرانها كان الدليل على ما أنجبته هذه المنطقة من رقي وتقدم. وشعبها كان الدليل على قدرة هذه المنطقة على التعايش والمواطنية. كل هذا مهدد اليوم بالصومالة.

قد نجد تبريرات للموقف اللامبالي للعرب من الصومال. فهو بلد طرفي وغير مؤثر في المنطقة، والآثار السلبية لتدميره وتشريد أهله انحصرت في القرن الإفريقي ولم تمس المنطقة العرب، باستثناء اليمن الذي نزح إليه لاجئون صوماليون.

وعلى ذكر اليمن الذي عانى بدوره أزمة خطيرة لا يزال يبحث عن كيفية الخروج منها، يمكن أن نلاحظ أن حدا أدنى من الضغط والتدخل من مجلس التعاون الخليجي اقنع المجتمع الدولي بأن يفرض على الرئيس السابق علي عبدالله صالح التنازل وتسهيل التسوية.

أي أن تحركا عربيا يمكن أن تكون له انعكاسات على المواقف الدولية وعلى تسهيل الحلول.

المبررات التي جعلت العرب يبتعدون عن الصومال لا يمكن إحضارها في الحالة السورية.

وإذا كان بعض العرب غير مهتم بسورية الوطن، كما أهملوا يوما لبنان الدولة وتركوه نهشا للاقتتال، فإن من مصلحة العرب أن يهتموا بالآثار الناتجة عن المآل السوري، لأنها ستنعكس مباشرة على دولهم ومصالحهم.

والتدخل العربي في الشأن السوري لم يعد تدخلا في شأن داخلي لدولة مستقلة، إنما بات ضرورة للدفاع عن المصالح

الوطنية لكل دولة في المنطقة.

سورية تواجه، في ظل غياب الحل السريع، أسوأ السيناريوات. دمار كامل وشامل ولجوء أهلها إلى الجوار الذي يعاني ما يعانيه من ضائقة ومعضلات، هذا الدمار الذي يفرخ كل أشكال الشلل الاجتماعي والتطرف الإيديولوجي والتشدد الديني، ما سينعكس وبالا على الجوار العربي. أو سينعزل الحكم السوري الحالي في منطقة ذات غالبية طائفية، ما يجعل البلاد في طور يدخل تعديلا جيو استراتيجية على منطقة تعاني من الهشاشة الشيء الكثير، ولن تتأخر بذور مماثلة في أكثر من بلد عربي في البزوغ.

لذلك لم يعد مفهوما أن يقتصر سلوك العرب وجامعتهم على تلمس كلمة ملتبسة من موسكو، علها تحرك حلا دوليا مبهما أو توافقا أميركيا ـ روسيا على اقتسام المصالح.

كما لم يعد مفهوما أن يقتصر السلوك العربي على دعوات إلى مؤتمرات لمساعدة الشعب السوري أو إرسال شاحنات إلى هذا المخيم أو ذاك للاجئين السوريين.

فكل ذلك ليس أكثر من مخدر لضمير، ولا يتصدى لعمق الأزمة ولضرورة محاصرتها وإيجاد الحل السريع لها.

ليس من الواضح تماما أن قيمة الوطن السوري، بحضارته وتجربته وثقافته، مسألة تشغل كثيرا بال العرب.

فالتجارب الكثيرة أظهرت أن مثل هذا الاعتبار ليس أساسيا، وتجربة العرب مع لبنان خير مثال على ذلك، لقد تدمرت هذه التجربة من دون أن تلقي وزرا عليهم.

أما سورية فشأن آخر، فدمارها المستمر سيكون وبالا عليهم جميعا. وهم، إن لم يكونوا يرغبون في إنقاذ التجربة السورية والوطن السوري، فعلى الأقل أن يعملوا على إنقاذ أنفسهم من ويلات تدميرها.

الحياة

المصادر: